الشعر القبائلي في المهجر

Kabyle Poetry of Exile

فيروز بن رمضان*

جامعة يحي فارس، المدية -الجزائر benramdanefairouz@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2022-01-14	2022-05-01	2023-01-26

ملخّص: يهدف المقال إلى معالجة قضية الهجرة التي عانى منها الجزائريون، فأنتجوا لنا جراءها شعرا جميلا خلدته الأيام، ولعل الحنين إلى الوطن في الشعر القبائلي، كله أبرز ما نجده بقوة وعنف، وبرقة وعُمق في شعر المهجر الفرنسي، حيث تنطلق أغاريد شعراء كُثر أمثال: الشيخ الحسناوي، سليمان عازم، علاّوة زروقي...وغيرهم؛ تلك الأغاريد التي تنبع من نفسٍ مشتاقة إلى أبسط حقوقها، وهو العيش بين الأهل والأحباب في أحضان الوطن الأم.

ولا عجب في ذلك، فالشاعر القبائلي الذي نزح عن دياره، يحمل بين جنبيه طموحاً وآمالا أعرض من الفضاء، وخلـف وراءه دنيا تهدهدها السذاجة والقناعة، ليصطدم بالمادية، والحياة الآلية المزعجة التي لم يألفها في قريته، فلم يلبث أن شعر بفراغ عظيم في قلبه وفي حياته، فجعل يتذكر قريته الهانئة الوادعة، مُتلهفا بحنين إلى مرابع صباه، حيث كان سعيداً في قناعته وسذاجته الروحية -رغم الفقر والاستعمار-فأصبح في مهجره بعيدا عن سعادة القلب وطُمأنينة الضمير

وسنحاول في هذه الدراسة الوقوف عند لأهم العوامل المؤدية للهجرة والاغتراب مستشهدين بمجموعة متفرقة من شعر هؤلاء المغتربين.

كلمات مفتاحيّة: الحنين؛ الوطن؛ المهجر؛ الاغتراب؛ الشعر القبائلي.

Abstract: The article aims to address the issue of migration, which Algerians suffered, and they produced a beautiful poetry; homesickness is undoubtedly one of the most present themes in the Kabyle poetry produced by poets of exile particularly in France, with deep and sparkle words, like in Cheikh El-Hasnaoui, Slimane Azem,

* المؤلف المرسل

and Allaoua Zerrouki's and many others warbled songs. Their poems stem from souls denied the most basic right, that is to live among parents and friends.

It is of no surprise, since they were written by poets who left them home carrying above their shoulders a humongous weight of hope and ambition, living their naïve and modest life to collide with materialism and annoying routine life that they weren't accustomed to. They subsequently felt a huge gap in their hearts which made them remember their calm and peaceful village, longing and nostalgic about their childhood remembrances, where they had a nonchalant happy life despite poverty and colonialism, to end up in their exile deprived of the pleasures of happiness and tranquillity.

In this study, we will try to address the most important factors leading to migration and alienation, citing a separate group of these expatriates' poetry.

Keywords: Homesickness ; homeland; exile; alienation; Kabyle poetr.

1-المقدمة: شرعت منذ أواخر القرن التاسع عشر، جماعات من أبناء الجزائر في النزوح إلى بلاد الغرب، ولا سيما من تيزي وزو وبجاية، بعضها هربا من جور النظام، وبعضها انتجاعا للرزق، والبعض الآخر منفي من وطنه. وبين تلك الجماعات المغتربة كانت طائفة من الشباب الذين تتوقد بين جوانحهم قلوب متوثبة للحرية وحب الوطن، وفي رؤوسهم آفاق رحاب من الفكر النيّر والخيال الخصيب، عزّ عليهم العيش أسرى للظلم والجور والعوز، فانطلقوا يبحثون عن الحرية والاكتفاء.

لقد أضرم الاغتراب حنين المهجريين، فأنتجوا لنا شعرا خالدا سيبقى زغرودة في فم الأيام، لما ينضح به من عاطفة محتدمة وخيال جذاب.

وعلى هذا الأساس، كانت دراسة موضوع الاغتراب في الشعر القبائلي، والحنين واللوعة في شعر شعراء هاجروا عن موطنهم الأم قهرا للظروف، أو ظلما بهجرة دون رضا أو طلبا للاكتفاء.

وقد تتبعنا في هذه الدراسة منهجا تحليليا موضوعاتيا لقصائد شعراء الهجرة والاغتراب، أين أظهرنا لوعتهم الصارخة العميقة، وحنينهم الجارف لوطنهم، وشدة مرارتهم في شعورهم بالاغتراب عن الأهل والأحباب والديار، والدوافع التي أدت إلى حدوث هذا الاغتراب.

فكيف جاء هذا الاغتراب في شعرهم؟ ومالدوافع التي أدت بأشخاص في ريعان شـــبابها إلى تكبّد معاناة المهجر ولوعة الحنين وحرقة الابتعاد عن الوطن؟ وهل استوفت قصائدهم الاغترابية غرضها وأوصلت رسالتها لمن أرادتهم أن يسمعوها؟

ولإبراز ما جادت به قرائح هؤلاء الشـــعراء، اهتممنا بهذا المجال واعتنينا بأحاسيسهم، فليس أبلغ في البوح من المعاناة من تجسيده في دراسة معرفية، وليس أنبل فيما يحسه المرء من اقتسام لآلام الاخرين، فجاءت هذه الدراسة كإحاطة لما تغنّى به شـــعراء المهجر وما عانوه في غربتهم، ملمين جوانب الدراســـة في أربعة عناصر، جعلنا لكل عنصر موضوعا تلتف حوله أفكار وشواهد تبلور في مجموعها التخطيط العام للعنصر.

فتحدثنا في العنصـــر الأول عن الاغتراب ومفهومه، ثم درســـنا في العنصـــر الثاني مراحل الاغتراب في منطقة القبائل وعند الفرد القبائلي وقمة الوعي عنده، مستشهدين بأمثلة عن الشعراء المغتربين ودوافعهم في ذلك، لننتقل في الحديث إلى الدوافع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي حالت دون عيشهم في وطنهم الأم، وختمنا المتن بالحديث في العنصر الرابع عن الشعر القبائلي في المهجر، والاستشهاد بأمثلة جادت بها قرائح شعراء اغتربوا عن وطنهم، أو عاشوا غرباء في وطنهم الام.

2- مفهوم الاغتراب: إنّ الدّخول إلى عوالم مصطلح الاغتراب، من أشقّ المهام لما في ذاك المصطلح من مراوغة، اكتسبها من طبيعته الزّئبقية التي تجدّدت وظهرت بطرق مختلفة عبر العصور، وعلى الرّغم من أنّ مصطلح الاغتراب يُعتبر الآن من أكثر المصطلحات تداولاً في جميع مجالات النشاط الثقافي الإنساني، فهو لا يزال يُعاني من الغموض الذي تفرضه طبيعته، وبما أنّه من الصّعب وضع تعريف دقيق لمصطلحات العلوم الإنسانية، فقد تضاربت الأقوال والاتجاهات في شأن ذلك المصطلح

المتعدّد الدلالات*، لذا من الأفضل أن نتّفق على ماهية الاغتراب في استخدامات هذا البحث، فنحن نعني به تحديد الانفصام العاطفي، والانفصال المكاني، وما ينشأ عنهما[1].

فالاغتراب ظاهرة إنسانية عامّة، لا ينفرد بها جيل دون جيل، وهي موجودة منذ أن وطئ الإنسان هذه الأرض، وبدأ طريق المعاناة.

وقد وصف المستشرق الفرنسي "جاك بيرك J.Berque"، حالة الاغتراب التي وقعت الأمم العربية فريسة لها، فقال:

"إنّ الاستعمار قد سلب تلك الجماعات عاداتها وتاريخها، ووجودها الحضاري، إن لم نقل بأنّه قد انتزع منها صميم طبيعتها، وآية ذلك أنّ الاستعمار، قد قذف بتلك الجماعات إلى عالم غريب من الأشياء والمعاني والدلالات، فلم يكن في استطاعتها . حتى بعد الظفر بالاستقلال . أن تتحرّر تماماً من تلك الغربة!"[2].

ومعنى هذا، أنّ السّر في الاغتراب الذي تُعانيه الأمم العربية، أنّها أُمم منتزعة من صميم ماضيها، غائبة عن حاضرها، وإن كانت تعمل بجهد ومشقّة في سبيل بناء مستقبلها، وأصدق مثال على ذلك، فلسطين.

وعند الحديث عن الشعر الاغترابي القبائلي، فإنّ أوّل يوم بدأ فيه الفرد القبائلي الهجرة من وطنه الأم، بدأت أشعار الغربة[3]* تتردّد في كلّ أنحاء البلاد، ولا تزال إلى يومنا هذا تتعالى...ومن كبار الشعراء الأوائل الذين هاجروا إلى فرنسا، نجد: الشيخ الحسناوي، زرّوقي علاوّة، فريد علي، سليمان عازم، موح السّعيد أوبلعيد، الشيخ أعراب بويزقارن وآخرين. وقد هاجر الشيخ الحسناوي إلى فرنسا سنة 1932، وسليمان عازم سنة 1937، ولم يبدأ هؤلاء الغناء إلاّ بعد مضيّ ثماني سنوات، وهو الوقت الكافي لتحسين المادية، لأن معظمهم هاجروا بدافع العمل، ماعدا الشيخ الحسناوي.

ويلتقي هؤلاء الشعراء في مقهى المغتربين، المسمّاة "بحانة الجزائر"، وكان ذلك في أواخر الستّينات، وتقع هذه المقهى في شارع La Huchetts في باريس، وقد

حولّها محند الصّـــغير في الأربعينات إلى قاعة الحفلات، ومنذ تلك الآونة، كان لقاء كل المغتربين الجزائريين فيها.

وقد مر شـــعر الغربة بثلاث مراحل، حيث بدأت المرحـــــلة الأولى في بداية الهجرة إلى أواخر الأربعينات، وكانت المرحلة الثانـــية عند دخول الموســيقى الشرقية، أمّا المرحلة الثالثة، فكانت بمجيء شـــعراء آخـــرين من الجزائر إلى فرنسا أمثال: آيت منقلات، إيدير، معطوب الوناس، نور الدّين شنّود، مليكة دومران...وغيرهم.

1.3 المرحلة الأولى: "إن أوّل مهاجر إلى فرنسا، من بين الشّعراء الكبار، هو عمر الحسناوي، حيث هاجر سنة 1932، ويعدُّ من الأقدمين، وهناك أيضا يمينة وحورية، سي موح، سي سعيد، سي سعيد بن أحمد، سعيد الغُونديوُو، شقال وياسمينة؛ ويعتبر هؤلاء الشعراء أوّل من ساهم في خلق شعر الغربة، وإرساء مضامينه المتعددة"[4].

2.3 المرحلة الثانية: بدأت هذه المرحلة من سنة 1947 إلى سنة 1973 وكان سليمان عازم من المهاجرين الأوائل في الأربعينات، إلى جانب الشيخ الحسناوي، زرّوقي علاوة، فريد علي، موح سعيد أُوبلعيد، أعراب أُوزلاغ، أعراب بويزقارن، وأمّا من النّسوة، فهناك: حنيفة وخُديجة، وكان هؤلاء هم الأوائل؛ بعدها انضم إليهم شعراء آخرون مثل: مصطفي هالو، العنقا، حسيسن، عمّوش محند، شريف خدّام، كمال حمّادي، كريم طاهر، أُولطاش ارزقي، يوسف أبجاوي، أكلي يحياتن، سعداوي صالح، نورة وفريد وآخرون، وقد أضافوا للأوائل تجديداً موسيقياً لسنوات الخمسينات والسّتينات "[5].

وقد أُدخـلت عدّة آلات موسيـقية ـ إضافة إلى النـاي والبندير ـ مثل: القـانون، الكمان، العود، الرّباب، الأوركوديون، الدّربوكة، الطّبل، كوسائل المسـاهمة في تطوير إيقاع الأغنية القبائلية، "وقد تأثر بعض هؤلاء الشـــعراء بالموســـيقى الشـــرقية القديمة مثـل: جوقـة أم كلثوم، ومحمـد عبـد الوهـاب، وعبـد الحليم حـافظ، وفريـد الأطرش،

وإسمهان وغيرهم، ومن بينهم شريف خدّام الذي أنشأ جوقا موسيقياً شبيهاً بالشرقيين، وتبعه بعدها كمال حمادي، عمّوش محند، وإبراهيم بلاّلي..."[6]

3.3 المرحلة الثالثة: مع بداية سنة 1973، انقلب وجه الشعر الاغترابي وإيقاعاته، والآلات المستعملة فيه، "حيث أدخل إيدير آلات جديدة مثل: البيانو، القيتار الإلكتروني...وتبعه آخرون أمثال: تاكفاريناس، رابح عصمى، مليكة دومران، كريمة...وغيرهم، وأضفوا على شعرهم لمسة إيقاعية عصرية"[7].

ومهما يكن، فإنّ الشعراء الأوائل كانوا يكتبون الأشعار بأسلوب عميق مؤثّر، وكلمات سهلة موزونة ومُقفّاة، تُعبّر بصدق عن نفسية صاحبها، عكس ما نراه في شعر هؤلاء المحدثين، رغم تقدّم وسائل الطّرب، فقد تركت الغربة أثاراً عميقة في شعر الأوائل، الذين عانوا من الغربة القسرية والاضطرارية في زمن الحزب الواحد، وقد سبق سي محند أومحند، هؤلاء الشعراء في التعبير عن معاناته واغترابه، حيث يقول:[8]

Nfγid γer tmurt l-lγerba	نُفيت إلى بلاد الغربة
M'atrum a ttelba,	هلا بكيتم أيّها الطُّلبة،
Laaqul isenteqqiden	ذووا العقول المستوعبة

"وهناك من الشعراء الذين هاجروا واقتلعوا من جذورهم، واستقرّوا في فرنسا، وبقيت قلوبهم في وطنهم، فعبرّوا عن مشاعرهم بصدق، وعن أحاسيسهم ببلاغة مؤثرّة مثل: سليمان عازم، وعلاوة رزّوقي، وهناك من ترك عائلته اضطراراً، وغنّاها بشوق، مثل: الشيخ نور الدّين وآكلي يحياتن، وهناك من ذهب من أجل العمل مثل: إبراهيم بلاّلي، وهناك من كتب عن الاستعمار مثل: سليمان عازم، أبشيش بلعيد، وآكلي عمر"[9].

وأمّا عن شـــعراء اليوم، فهم يكتبون أشـــعاراً عامّة، ومتنوعة المضـــامين، لأنّ عصـــر الحزب الواحد قد ولىَّ واندثر، وحلّ محلّه زمن الانفتاح السّـــياســـي، وباندثاره...انتهى زمن الغربة المُؤلم، وشعره المعبّر، ومات أصحابه التعساء.

5-الشعر القبائلي في المهجر وعوامله: إنّ الاغتراب ظاهرة إنسانية متشابكة، تتداخل فيها جميع الظّروف المحيطة بالفرد؛ فما العوامل المؤدّية إلى الاغتراب؟ ومن ماذا يغترب الفرد؟

وإذا استعرضنا الظّروف المؤدّية للاغـتراب، فإنّنا سنـبدأ بالعامل الاقتصادي ثم الاجتماعي، ثم السّياسي.

1.5- العامل الاقتصادي: وهو أحد أهمّ الدوافع إلى الهجرة والاغتراب، فطبيعة منطقة القبائل الجبلية غالباً ما كانت وراء تنقّل القبائلي من منطقة إلى أخرى بحثاً عن العمل، والسّبب الحقيقي وراء الهجرة، هو الفقر الذي يكشف العيوب، فتزداد المشاعر اغتراباً، خاصة حين تصل الأمور إلى أعزّ الناس، فلا يجد الفقير المسكين إلاّ التّغرب كوسيلة يقضي بها على اغترابه الأسري والاجتماعي[10].

ومن بين الشـــعراء الذين عبّـــروا عن اغتـــــراب الفرد، الناتج عن الأسباب الاقتصـــادية، الشـــاعر "لونيس آيت منقلات"، في قصـــيدة "lγurba"، الغربة"، حيث يقول:[11]

برأس مملوءٍ بالأحلام	S uqqeu Yeccur t-tirga
أخذنا طريقا مجهولاً	I nettef abrid ur nessin
خرجنا عن القرية عندما تركناها	Neffγ-d taddart mi tt-in-negga
هذا تشفَّى وهذا قال مسكين	Wa inna ccah wa meskin
نتمنَّى أن نمحي الفقر والذّل	Nessaram a d-nekkes laz d tlab
حتى ولو جئنا بلا مُعين...	A wer a d-nas mebla aεwin
هكذا، حتى لو وجدنا هناك الرِّبح	Ziγen γas ma nufa rrbeh yella
وصحّتنا ستذهب سدًى...	D sehha-nneγ ard att-awin

وعلى الرّغم من أنّ الشاعر رسم صورة حقيقية للواقع السيئ الذي يعاني منه معظم سكان منطقته، إلاّ أنّه لم يكن راضياً تمام الرِّضى عن الهجرة لولا الضّرورة فيعيش هناك بمرارة البعد؛ وهذه المرارة دفعت الشيخ الحسناوي أن يتوسّل إلى ربّ العالمين أن يحفظ المغترب مِن كلّ المصاعب؛ يقول في قصيدة " Ayat wakal aberkan، يا أصحاب التربة السّوداء":[12]

اجعل له القَرار يا رَبّ	A Rebbi geεl-as leqrar
للغريب الذي لا وليّ له	I weγrib ur nesεi lwali
لم يجد لمن يشتكي أو يتكلّم،	Ur yuf' iwm'a ycetki yehder
إلاّ لك يا الله العالي...	Haca kec a Rebbi lεali
في البلاد شبع كفاحاً	Di tmura yerwa anemdarSellek-it a
أنقذهُ يا الله العزيز العالي	sidi Rebbi εzizen lεali

وقد عانى الشـاعر لونيس آيت منقلات من غربته داخل الوطن، وبالخصـوص عندما ذهب لأداء الخـــدمة الوطنية، وكان أن وصـف لنا تجربته الخاصـة، والمعاناة

التي اجتاحته، في قصيدة "Dayrib ur zegreγ lbher، غريب دون أن أقطع البحر":[13]

غريب دون أن أقطع البحر	D arib ur zegreγ lebher
وابتعد الوالدين عنّي	Beɛden lwaldin felli
والذي سأحكي له سيحكي لي أكثر	Win mi hkiγ a d-ihku kter
ماذا فعلنا يا الله.	D ac'i s-nexdem i Rebbi

2.5- العامل الاجتماعي: وتعتبر الظّروف الاجتماعية من أهمّ المؤثرات الأساسية في حياة الفرد القبائلي سلباً وإيجاباً، فهي التي يُمكن أن تحقّق له التوافق الاجتماعي، وهي التي يمكن أن تنبذه وترفضه وتتخلّى عنه، ومن أهمِّ أسباب ظهور الاغتراب الاجتماعي هو النبذ والرفض[14]، وهو شعور عام تشعر به الأقليّات في المجتمع العنصري أو العِرقي، ويكون الاغتراب من أنواع النفي أو الطّرد من عالم الغايات والدّفء العاطفي، وتزداد قسوة الاغتراب حين تقترن الرّحلة بالإذلال، وهذا ما جناه الشاعر سي محند أومحند الذي كانت له مكانة في مجتمعه، وما إن جاء الاستعمار الفرنسي سنة 1857، حتى تغيّر كل شيء، فتشتتت عائلته، وتفكّكت علاقته القرابية بالقبائل، وانهارت القيم الاجتماعية والأخلاقية، فبدأ حياة طويلة من التغرّب والتّجوال عبر مختلف البلدان، ولقد عكس في شعره هذا التغرّب والاغتراب الذي عاشه في قوله:[15]

والبعض أرجعته للمشقّة	Albɛad territ-t i-lemcaq
والفقر والعشق	D zzelt u laɛceq
كان رأيه غائباً	Yusa-d dlγayeb rray-is

لقد كانت كلّ رحلاته اختيارية في بدايتها، ثمّ تحوّلت إلى رحلة اغتراب قسري يشعر فيها بالانفصال عن المجتمع الجديد الذي تقف رحلته عنده؛ يقول:[16]

Ataya wul-iw yuɣdad	ها هو قلبي يغتاظ
A Rebbi tɛalmed	يا ربِّ أنت تعلم
Kfant lehwayeg i nelsa	أصبحت ثيابنا بالية
Deg zik inu d ttaleb	لقد كنت في القديم طالباً
Tadwat d settin hizeb	دواتي بستين حزب
Lketba-w deg lmadersa	وكتابتي في المدرسة
Tura imi nceb nɣelled	والآن بعدما شِبنا أخطأنا
S-eccrab ar nxelled	وسنخلّط بالشّراب...
Atnaɛred a Sidi Musa	سنذوقها يا سيدي موسى

وبالرغم من تمرّده وخروجه عن طريق الحقّ والصّواب، واغترابه عن قبيلته، إلاّ أنّ نفسه قد اشتعلت بنيران الندم والحسرة على المكانة التي كان فيها، قبل أن يهوي إلى الأسفل؛ يقول:[17]

Ddunit la tetɣawal	الدّنيا تُسرع...
Alfahem bbwawal	يا فاهم القول
Atas di medden ay tɣur	لقد غرّت الكثيرين
Yahesrah di zik n lhal	يا حسرة على الحال الماضي
Mi lliɣ d mul lmal	عندما كنت صاحب مال
Ism iw di laarac mechur	واسمي في القبائل مشهور

لقد طمح الشاعر سي محند أومحند إلى تعزيز مكانته الاجتماعية والاقتصادية عن طريق التّجوال، إلاّ أنّ حالة الفشل المتكرّر لبلوغ تلك المنزلة، أدّى به إلى الشعور بمرارة الحرمان والتّحسر، وهذا ما نشعره بصدق ووضوح في قوله:[18]

Itγid win ssnen medden	نشفق على من يعرفه الناس،
Mi yezled yewhen	عندما افتقر، اندهش...
Kulyum fellas d aγilif	كل يوم يفكّر...
I ttagew ddhan d yirden	يتموَّن الدّهن والقمح،
Iccecc ihbiben	أَطْعَمَ الأحباب
Imi la ijebbed ar nnif	إذْ ما ينحاز إلى الأَنَفَة
Tura mi d ussan aaksen	والآن عندما جاءت عاكسة
Icud arksen	أَحْكَمَ الأخفاف...
Ittef aakkwaz i ttesrif	وأمسكَ بالعصا للتّصريف

ويقول في شعر آخر:[19]

Macci d jjih ay njah	لم نكن أبداً حمقى
A ssyadi ssellah	يا أسيادي الصّالحين،
T-tagwnit i gbeddlen fellaγ	تغيّرت علينا الأرض...
Asmi yi d hubben leryah	عندما هبّت لي الريّاح
Refden aγ lemlah	حملنا الطيِّبون،
Mekkul leblad ssnen aγ	في كلّ بلدٍ يعرفوننا...
D zzman i-γ-iggan nefdeh	تركنا الزمان نفتضح
Welleh ma necceh	والله لم نغتظ...
Annesber i lwaad ma yuden aγ	نصبر للدّهر إذا أمْرَضَنَا
Kra yewten degneγ lasmah	من تشفّى فينا لا نُسامحه
Ad yuγal ssbeh	يرجع الصباح...
	وسيُبلى بمرضنا.

ونحن الآن سوف نربح...	Ad yeblu s lehlak nneγ
جُرِحْنَا كثيراً...	Ma n nekwni tur' annerbeh
حتى تعدّت الحدود.	Atas ay nejreh
	Bbwden lehdud fellaneγ

3.5- العامل السياسي: أَلِف المجتمع القبائلي النظام القبلي وعاش في ظله دهراً طويلاً، وكانت القبيلة هي الوحدة السّياسية المستقلّة التي تقوم مقام الدّولة في أيّ نظام سياسي.

ولم يكن المجتمع القبائلي مجتمعاً فوضوياً يتحدّى كلّ ضروب التنظيم السّياسي أو الاجتماعي، بل كانت له نظم وأعراف متوارثة أشاعت لمن يعيش في ظلّه مشاعر الأمن والاستقرار، برغم الاغتراب الجماعي، وكان لكلّ قبيلة شيخ يتولّى تصريف أمورها والنظر في شؤونها.

فالنظام القبلي الوراثي سلب الفرد القدرة على اتّخاذ القرار، أو التعبير والمشاركة في صنع القرارات مثل أسياد القبيلة؛ وكلّ هذا زاد من سخطه ورفضه، ووضعه في حالة مستمرّة من عدم الانسجام والمعاناة، ممّا يسمح بظهور الاغتراب الدّاخلي، وهذا عن طريق رفضه لمبادئ وأفكار النظام، فتكون المعارضة قوية، قد تصل لاستعمال السّلاح بين أفراد القبيلة الواحدة في بعض الأحيان.

ومثل هذه الحالات، عايشها الفرد القبائلي إبّان الاستعمار الفرنسي، فقد حاول جاهداً أن يُحقّق توازنه النّفسي عن طريق نمط السّلطة بكل قواه، ولم يلجأ إلى المُهادءَة بالتنكّر لمبادئه وتغيير نفسه ومعتقداته إلاّ في أضيق الحدود، وتحت أشدّ الظروف وطأة، ولكنه سعى جاهداً إلى تغيير مجتمعه سواء بالقول أو بالثورة المسلّحة، فكانت الثورة أشدّ تعبير لرفض الاستعمار؛ ولا يزال الفرد القبائلي يعيش مثل هذا الاغتراب بسبب الأحزاب السّياسية، لأنه لم يجد فيها ما يُطمئن الخاطر.

ومن أهمّ الشعراء الذين انتقدوا النظام السّياسي، نجد الشاعر لونيس آيت منقلات في قصيدة "Nekwni s warrac nl zzayer"، نحن أبناء الجزائر"، حيث تنبّأ من خلالها بأحداث 5 أكتوبر 1988، وعبّر فيها عن اغتراب الفرد من وطنه الأم، آنذاك بسبب أمور سياسية؛ يقول:[20]

اشتعلت النار ثمّ انطفأت	Tekker tmes tuγal tens
انطفأت النار ومازالت أخرى	Tensa tmes mazal taye
كل شخص يتذكّر زمانه	Kul yiwen i lweqt-is yecf
كلٌّ، وما أوصل من النار	Kul wa times i d-yessawe
كلُّ دهرٍ حلم بالهناء	Kull lqern yurga lehn
ربّما طريقه متعرّج	Waqila abrid-is yenne
آهٍ يا وطني	Uh a tamurt-i
أرني أين هو اسمي	Mel-iyi anida-t yisem-i

❖

من ينطق سيكسر له رأسه	W'inetqen as-yerz aqerru
وسيعيش في هناءٍ تحت الجناح	At tɛaced di lehna n ddaw yife
نحن أبناء الجزائر	Nekwni s warrac n lzzaye
لم يُخطئنا أحد	Ur γ-izgil yiwe

ومن خلال بعض الأبيات من هذه القصيدة، نستشف الاغتراب الذي يقصده الشاعر ايت منقلات، فهو يشعر بأنه خارج النظام، فسعى إلى تأييد أي تغييرات سياسية جوهرية ودعمها بهدف إرساء نظام يستطيع الانضواء تحت مظلته.

6-خاتمة: ومن جملة النتائج المتوصل إليها ما يلي:

-لقد أدى ظهور الهجرة إلى مجموعة من العوامل المعقدة، منها العامل الاقتصادي والسياسي ثم الاجتماعي.

–فمن الناحية الاقتصـــادية، تفرقت عروش كثيرة في طلب الرزق، ووقع عبء ثقيل على شـعرائها للتصـريح بمعاناتها، وكان الشـاعر الذي يسـافر لهدف مزدوج– تحسـين وضـعه الاقتصـادي، ونقل معاناة القبيلة–عندما يطيل البعد في غربته، يحن ويحزن ويعجز في معظم الأحوال عن تحقيق الأهداف التي جاء من أجلها، فيزيده الفشـــل غربة فوق غربة، وتتحول الرحلة الاختيارية إلى اغتراب قســـري، وفي أغلب الأحيان كان الاغتراب الاقتصـــادي، يتحول مع مرور الوقت إلى اغتراب حضـــاري، نظرا لعجز المغترب عن التلاؤم مع البيئة الجديدة التي انتقل اليها.

- اما بالنسـبة للعامل الاجتماعي، الذي يتأثر بالسـياسـة والاقتصـاد معا، فقد كان التمرد على النظام القبلي وأوضـــاعه، يشـــابه في بعض حالاته التمرد على ســـلطة الدولة، كما أن الحب والزواج نوعان من أنواع الاغتراب المكاني والنفسي.

- فالاغتراب الاجتماعي بؤرة من بؤر التوتر والاضطراب بين المجتمعات، أدت لاغتراب الفرد القبائلي عن دشرته، فقد كان هنالك تفاوت طبقي بين المجتمع الواحد، مما ولد النفور الدائم بين المحرومين وبين المرابطين، وكانت القوانين لا تخدم إلا المرابطين

وفي الأخير نقول إن الشعر المهجري يتعالى أصواتا حادة ترسم أفكارا شمولية وألوانا تتسع لكل زمان ومكان، فالشعر الاغترابي المكاني او النفسي او الاجتماعي تحقق له الخلود عن طريق الفكرة والكلمة، فكان التلازم كاملا بين الشعر ونقد الحياة.

7– قائمة المراجع:

المؤلفات باللغة العربية:

- فاطمة حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، مصر، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، الطبعة الأولى،1997.

- قيس النوري، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، وزارة الإعلام، الكويت، 1979.

المؤلفات باللغة الأجنبية:

- Moh cherbi, Arezki khouas, chanson kabyle et identité berbère; l'œuvre d'Ait Menguellet, Paris,EDIF 2000 Méditerranée, 2001.
- Said Boulifa, Recueil de poésies kabyles, Alger, Awal, 1990.
- Mouloud mammeri, les isefra de si Mohand, Maspero, Paris, FM/Fondations, 1982.
- Tassadite Yacine, Aït Menguellet chante; Alger, Bouchèle/Awal, 1990.

المؤلفات المترجمة:

- دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة: احسان محمد الحسن، بيروت، دار الطّليعة للطّباعة والنشر، ط2، 1986.
- ريتشارد شاخت، الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسن، لبنان، المؤسّسة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1980.

المجلات:

- Nur uld Aɛmara, Amezruy n ccna n taqbaylit deg inig, Iles umaziγ, Revue trimestrielle éditée par l'association culturelle jeddi Abdel male cheurfa, Tizi-n'tleta, Tizi-ouzou; nº10, Avril 1999.
- Rachid Mokhtari, La chanson kabyle de l'exil: la voise et ses instances vocales, Reuue D'étude Amazighes, nº 02, Anadi, juin 1997.

8-الهوامش والإحالات:

* لمزيد من الاطّلاع على تحليل المصطلح، أنظر:

- دينكن ميتشيل، ترجمة: احسان محمد الحسن معجم علم الاجتماع، بيروت، دار الطّليعة للطّباعة والنشر، ط2، 1986.

- ريتشارد شاخت، ترجمة: كامل يوسف حسن، الاغتراب، لبنان، المؤسّسة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1980.

[1] فاطمة حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، مصر، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، الطبعة الأولى،1997، المدخل ص أ

[2] المرجع نفسه، ص 154.

[*3] للمزيد من التّوسع، أنظر:

- Nur uld Aɛmara, Amezruy n ccna n taqbaylit deg inig, Iles umaziγ, Revue trimestrielle éditée par l'association culturelle jeddi Abdel male cheurfa, Tizi-n'tleta, Tizi-ouzou; nº10, Avril 1999; p 13-18.

[4] Ibid; p.15.

[5] Ibid; p.15.

[6] Ibid; p.16.

[7] Nur uld Aɛmara, Amezruy n ccna n taqbaylit deg inig, Iles umaziγ; p. 17.

[8] Mouloud mammeri, les isefra de si Mohand, Maspero, Paris, FM/Fondations, 1982; p 180.

[9] Ibid; p. 18.

[10] فاطمة حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، ص 04.

[11] Moh cherbi, Arezki khouas, chanson kabyle et identité berbère; l'œuvre d'Ait Menguellet, Paris,EDIF 2000 Méditerranée, 2001; p 112.

[12] Rachid Mokhtari, La chanson kabyle de l'exil: la voise et ses instances vocales, Reuue D'étude Amazighes, nº 02 , Anadi, juin 1997; p 69.

[13] Tassadite Yacine, Aït Menguellet chante; Alger, Bouchèle/Awal, 1990, p 120.

[14] قيس النوري، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، وزارة الإعلام، الكويت، 1979، ص 33

[15] S.Boulifa, Recueil de poésies kabyles; p 81.

[16] S.Boulifa, Recueil de poésies kabyles; p 83.

[17] M.mammeri, les isefra de si Mohand; p 118.

[18] Ibid; p 122.

* الحلتيت نبتة هشة لا يُتّكل عليها؛ والبيت كناية عن ضعف العماد والسند.

[19] M.mammeri, les isefra de si-Mohand; p 386.

[20] Moh cherbi, A. khouas, chanson kabyle et identité berbère; p 132.